الفصل الأول

«إن الحكومة هي رئيس التحرير الوحيد في صحافتنا».

إحسان عبد القدوس

obeikandl.com

١٩٥٠

قنابل تضرب أصحابها

(١)

في أحد الأيام ذهب «إحسان عبد القدوس» إلى مجلس الشيوخ، وجلس في القاعة يستمع إلى المحامي الكبير «مصطفى مرعي» عضو مجلس الشيوخ، وهو يتحدث عن استيراد الأسلحة، وذكر أن الأسلحة كلها خردة، وبدا واضحًا من حديثه أنه يتهم المَلِك «فاروق» بأنه مشترك في هذه العملية.

وبعد أن استمع «إحسان» إلى حديث «مصطفى مرعي»، خرج من الجلسة وهو يستشيط غضبًا، وراح يفكر فيما سمع من كل الجوانب، واستقر على أن يكتب مقالًا يؤيد فيه ما قاله عضو مجلس الشيوخ.

وفي السادس من يونيو نشر «إحسان» في مجلة «روزاليوسف» قضية الأسلحة الفاسدة، وجاءت عناوين المقال كالتالي:

- **مَن هو الضابط الذي يملك قصرًا في جزيرة كابري؟**
- **وزير الدفاع يوجِّه اتهامًا إلى جميع أسلحة الجيش**
- **الصحف المصرية تترافع عن المليونير المتهم**

كان استجواب «مصطفى مرعي» من أسباب استقالة رئيس ديوان المحاسبة، وذلك بعد أن أثبت «مرعي» أن الضباط والجنود لم تهزمهم

جرأة العدو وحنكته، إنما هزمتهم جرأة مورِّدي السلاح والذخيرة الذين تعاملت معهم وزارة الدفاع.

وذكر «إحسان عبد القدوس» في مقاله أنه سأل القائمقام أحمد عبد العزيز، قائد الكوماندوز في حرب فلسطين، عن اليوم الذي لا ينساه من أيام القتال، فأجاب والدموع في عينيه قائلًا: «لا أستطيع أن أنسى يوم كان الباشجاويش يقف بين رجاله يطلق مدفعه على مواقع العدو، فإذا بإحدى القنابل تنفجر إلى الوراء فتحطم المدفع، وتقتل الباشجاويش وجميع رجاله، فيخرون صرعى فوق حطام المدفع وابتسامة الاستشهاد تضيء وجوههم».

وبمجرد أن نشرت «روزاليوسف» المقال فوجئ «إحسان» بزميل من أيام الطفولة يُدعى «علي عبد الصمد» يحضر إليه في «روزاليوسف»، وروى له تفاصيل عمليات استيراد الأسلحة، وأخرج مجموعة من المستندات عن عمليات قام بها عدد من الضباط، والأمير عباس حليم، لاستيراد أسلحة قديمة من إسبانيا، وفرنسا، وبلاد أخرى.

وكشف «عبد الصمد» عن مفاجأة مدوية، وهي أنه كان واحدًا من مستوردي الأسلحة، وأن هدفه من نشر هذه المستندات هو التشهير بشركائه الذين أخذوا منه عمليات الاستيراد، ولم يمنحوه شيئًا من المكاسب الطائلة.

وابتسم «إحسان»، وأمسك بالمستندات، وبدأ ينشرها.

(٢)

ونشر «إحسان» المستند الأول، وفوجئ بحضور مجموعة من الضباط إليه، وأعطوه مجموعة من المستندات تثبت تورط حيدر باشا، وزير الحربية، في صفقات الأسلحة.

ونشر «إحسان» المستندات التي تدين وزير الحربية، وخرجت عناوين «روزاليوسف» تقول:

- **أطالب بالتحقيق مع الفريق محمد حيدر باشا**
- **أخطاء حيدر باشا**
- **كيف عُين حيدر باشا وزيرًا.. وكيف عُين قائدًا للجيش؟**
- **إن الجيش ملك الشعب.. وولاؤه يكون للدولة**
- **الضابط الصغير الذي لم يستطع حيدر أن يحاكمه**

وكتب «إحسان» يقول: «إن الذين يطالبون باستقالة الفريق حيدر يترفقون به أكثر مما يحقدون عليه، وأنا من المترفقين بحيدر باشا المشفقين عليه، ولكني رغم ذلك لا أطالبه بالاستقالة، وإنما بالتحقيق معه».

وأردف «إحسان» قائلًا: «إن سياسة المشرفين على الجيش هي سياسة التمادي في كل ما هو خطأ».

وطرح «إحسان عبد القدوس» سؤالًا مهمًّا وهو: «هل كان الجيش المصري مستعدًّا لدخول حرب فلسطين؟»، وكشف عن محضر رسمي يوضح حالة الجيش عند بدء الحرب، وأن الدبابات كانت في حالة يُرثى لها، وأن الجنود لم يتم تدريبهم قبل المعركة.

وفي الحلقة الثانية كتب «إحسان عبد القدوس» يقول: «حيدر باشا وهو وزير الحربية أخطر على الجيش من الأسلحة المغشوشة، لأن السلاح المغشوش قد يتغلب عليه القائد الصالح، أما القائد القاصر فقد ينهزم حتى لو لم يكن السلاح مغشوشًا».

واستعرض «إحسان» تاريخ «حيدر باشا» قائلًا: «لقد تخرج معاليه في الكلية الحربية عام ١٩٠٥، وعمل بالجيش عامًا واحدًا أمضاه في سلاح الخيالة للتدريب على ركوب الخيل، ثم نُقل إلى سواري بوليس مصر،

وظل ضابط بوليس حتى نال رتبة الأميرالاي ثم نُقل وكيلًا لمصلحة السجون ثم مديرًا لها فوكيل وزارة ثم وزيرًا للحربية».

وتساءل «إحسان» قائلًا: «أيُّ تجربةٍ في هذا العمل الطويل تبيح لحيدر باشا التدخل في وضع خطة حربية؟ هل كان معاليه يعتقد أن انتصار جيش على الأعداء لا يستلزم من الذكاء والعلم أكثر مما يستلزم انتصار البوليس على إحدى مظاهرات ثورة ١٩١٩؟ وهل يعتقد معاليه أن قيادة جيش لا تستلزم من الهمة والدراية أكثر مما تستلزمه قيادة مساجين في مصلحة السجون؟ إنني أضبط قلمي بصعوبة حتى لا يُجنّ معي، ويخرج عما يليق في مخاطبة القواد العظام أمثال حيدر باشا»!

وفي الحلقة الثالثة كان العنوان الرئيسي «طرائف حيدر باشا» وذكر فيه «إحسان» بعض الأخطاء الجسمية التي حدثت في حرب فلسطين عام ١٩٤٨، وكان وزير الحربية سببًا مباشرًا فيها.

(٣)

وفي الخامس من ديسمبر كتب «إحسان عبد القدوس» مقالًا جاء فيه:

- **أين ينتهي مصير تحقيقات الجيش؟**
- **أطالب بتقديمي للمحاكمة إذا ثبتت براءة المتهمين**
- **المستندات لا تزال في أدراج «روزاليوسف»**

ونجحت حملة «إحسان عبد القدوس» في مجلة «روزاليوسف»، واستقال حيدر باشا.

وكتب «إحسان عبد القدوس» في العدد التالي يقول: في صباح يوم الجمعة وفقًا لمواعيد الطباعة في «روزاليوسف»، وفي مساء يوم السبت قُبلت استقالة حيدر باشا، وكان يجب أن أُوقف هذا المقال؛

لأنني أعتبر هذه الاستقالة هي نهاية الحملة على حيدر باشا.. النهاية التي كتبها سعادته بيده، ولكن كان الطبع قد بدأ وربما لم يكن الذنب ذنبي، بل هو ذنب حيدر باشا الذي يجهل مواعيد الطباعة في «روزاليوسف»!

وبدأ النائب العام التحقيق في القضية، وتمت تنحية رئيس هيئة أركان الجيش، وإحالة ١٢ ضابطًا إلى المعاش، وتفتيش منازل رجال الحاشية.

وصدر قرار من النائب العام بمنع النشر في تلك القضية.

لكن في العام التالي حاول «إحسان عبد القدوس» التحايل على قرار النائب العام بمنع النشر!

obeikandl.com

١٩٥١

الله.. المَلِك.. الوطن!

(١)

في التاسع من يناير، عاود «إحسان» الحديث عن قضية الأسلحة الفاسدة، وحتى لا يقع تحت طائلة القانون نشر مقالاته تحت عنوان: «كيف أُثيرت تحقيقات الجيش أمام النيابة؟» لتبدو كأنها ذكريات حول القضية التي فجّرها على صفحات «روزاليوسف».

لكن حقيقة الأمر أنها لم تكن ذكريات بل كانت مزيدًا من المستندات، والوقائع، والمعلومات، لكن «إحسان» استخدم صيغة الماضي لتمر القضية دون التحقيق معه.

لكن في أعقاب قضية الأسلحة الفاسدة، كان إحسان عبد القدوس يجلس في أحد المطاعم الموجودة في وسط القاهرة، التي تقع أسفل عمارة «الإيموبيليا» -التي كان يسكن بها عدد كبير من كبار الفنانين- ونادى على الجرسون، وسدد ثمن الطعام والشراب.

وقام «إحسان» من مقامه، وبمجرد أن خرج من المطعم سمع صوت أقدام خلف ظهره، وقبل أن يستدير، استقبل طعنة سكين في رأسه من الخلف، وانزلقت السكين على فروة الرأس، وسقط «إحسان» على الأرض، وتم نقله إلى المستشفى، وبعد أن تعافى، وعاد إلى منزله،

حضر إليه الأمير «عباس حليم» حاملًا طبقًا كبيرًا من «المارون جليسه» وقال له: «المجرم الكبير حضر لتهنئة البطل الكبير»!

لم يفهم «إحسان» تلك العبارة، ومرت، ومرت معها أيام، وشهور، وسنون، وفجأة تذكرها حين أُعيد فتح التحقيق في قضية الأسلحة الفاسدة بعد الثورة، وبالتالي تمت إعادة التحقيق في محاولة اغتيال إحسان عبد القدوس، وتوصل رجال الشرطة إلى الجاني، واعترف أن مَن قام بتحريضه على القتل هو الأمير «عباس حليم» الذي كان يَعتبر «إحسان» السبب في حبسه في قضية الأسلحة الفاسدة أيام المَلِك!

وكشفت التحقيقات التي أُجريت بعد ثلاثة أعوام ثلاث مفاجآت:

الأولى، أن الضباط الأحرار هم الذين أعطوا المستندات لإحسان عبد القدوس.

الثانية، أن «صلاح سالم» عضو مجلس قيادة الثورة هو الذي سرَّب المستندات التي تدين «حيدر باشا».

الثالثة، أنه لم تكن هناك أسلحة فاسدة.

وتم حفظ التحقيق إلى الأبد.

(٢)

وفي شهر أغسطس ذهب الكاتب الكبير موسى صبري إلى مكتب «أخبار اليوم» بالإسكندرية في الصيف، ولفتت نظره وهو يراجع الأخبار المرسلة إلى القاهرة، أخبار مكتوبة بخط جميل، وبالحبر البنفسجي، وكلها أخبار جيدة عن الجامعة.

وحين سأل عن كاتب هذه «الأخبار» قدموا له شابًّا متخرجًا لتوِّه في كلية الحقوق جامعة الإسكندرية، وقدم هو إليه مجلة كان يُصدرها في

الجامعة، وبهره أسلوبه الكاريكاتوري الساخر، وعندما عاد إلى القاهرة بعد رحلة الصيف، طلب من علي أمين استدعاء هذا الشاب اللامع إلى القاهرة ليعمل في مجلة «الجيل».

وكان هذا الشاب، هو «أحمد رجب» الذي أصبح -في ما بعد- ألمع كاتب ساخر في مصر!

وفي تلك الأثناء صدر قرار المَلِك «فاروق» بإقالة شيخ الأزهر «عبد المجيد سليم» من منصبه، وذلك لأنه قال للصحف: «تقتيرٌ هنا.. وإسرافٌ هناك».. وكان يقصد بتلك العبارة إسراف المَلِك «فاروق» في رحلاته إلى أوروبا.

(٣)

وفي يوم الأربعاء، الرابع عشر من نوفمبر جرت وقائع أول مظاهرة مليونية عرفتها مصر، وخرجت عناوين جريدة «الأهرام» تقول:

- **أكثر من مليون يشتركون في أكبر مظاهرة شهدتها البلاد**
- **الشعب كله برجاله ونسائه يصب لعنته على الإنجليز المعتدين الغاصبين**

وضمت المظاهرة كل فئات المجتمع -إن لم يكن المجتمع بأكمله- فالقاهرة يسكنها ثلاثة ملايين فقط، وتصدَّر المظاهرة رئيس وزراء مصر مصطفى النحاس باشا، بعد أن قرر في أكتوبر إلغاء معاهدة الصداقة «البريطانية-المصرية» المعروفة باسم معاهدة ١٩٣٦، وقال كلمته الشهيرة: «لقد وقَّعت معاهدة ١٩٣٦ من أجل خير مصر ثم ألغيتها من أجل خير مصر».

(٤)

وفي هذا التوقيت صدر العدد الرابع بعد الخمسين من مجلة «الجيش» وشعارها المدوَّن على كل عدد منها: «الله.. المَلِك.. الوطن» بهذا الترتيب!

وتضمن العدد عددًا من الموضوعات منها: «المؤهلات الشخصية للضباط، ولماذا خسرت ألمانيا الحرب؟» وغيرها.

لكن اللافت في هذا العدد أنه ذُكر فيه عدد من الضباط الذين لهم مؤلفات مهمة، ومنهم: اليوزباشى «ثروت عكاشة»، والملازم أول «أحمد حمروش».

لكن لم يكن أحد يعرف أنه في العام التالي سيكون هذان الضابطان من الضباط الأحرار!

openkandl.com

١٩٥٢

اقْطع رأس الجريدة

(١)

في صباح يوم ٢٥ يناير وقعت مجزرة الإسماعيلية حين هاجم سبعة آلاف ضابط وجندي بريطاني ومعهم الدبابات والمدافع والسيارات المصفحة، قوات الشرطة المصرية التي لم يكن يزيد عددها على ٨٨٠ ضابطًا وجنديًّا، لكن جنود الشرطة البواسل صمدوا حتى نفدت ذخيرتهم.

وفي صباح يوم ٢٧ يناير كان المانشيت الرئيسي لأغلب الصحف المصرية عبارة عن كلمتين فقط هما: **حريق القاهرة**

وجاءت التفاصيل تقول: «اندلعت بالأمس أعمال عنف وتخريب أدت إلى تدمير أكثر من ٧٠٠ من المحال التجارية، ودور السينما، والملاهي، والنوادي الأجنبية في تسع ساعات».

(٢)

وفي تلك الأثناء قررت دار «أخبار اليوم» إصدار صحيفة يومية، وتعددت الآراء بشأن تسمية الصحيفة الجديدة، فهناك فريق يرى أن يكون اسمها «آخر لحظة»، وفريق ثان يرى أن يكون اسمها «أخبار النيل»، وفريق ثالث يريدها «الأخبار» وفريق رابع يريدها «أخبار اليوم».

وعقد مجموعة من كبار الصحفيين اجتماعًا في منزل «محمد التابعي» للاستقرار على الاسم النهائي للجريدة؛ وحضر الاجتماع «توفيق دياب، ومحمد زكي عبد القادر، وجلال الدين الحمامصي، وعلي أمين، ومصطفى أمين».

وفي أثناء الاجتماع اقترح الحاضرون اسم «أخبار اليوم» كصحيفة يومية، ولكن اعترض البعض على هذا الاسم خوفًا على النجاح الكبير الذي حققته «أخبار اليوم» الأسبوعية، واختار البعض اسم «الأخبار» ولكن تم التراجع عن هذا الاسم؛ لأن ورثة «أمين الرافعي» كانوا يملكونه، واقترح فريق آخر اسم «الأخبار الجديدة»، وحاز الاسم رضا الجميع.

وفي يوم ٢٢ من رمضان الموافق الخامس عشر من شهر يونيو صدرت جريدة «الأخبار الجديدة».

وكانت عبارة عن ثماني صفحات من القَطع الكبير، وسعرها١٠ مليمات، ليعد أقل ثمن لصحيفة يومية في ذلك التوقيت مما اضطر بقية الصحف إلى تخفيض أسعارها، وظل توزيعها قرابة ٣٠ ألف نسخة لمدة أربعة أعوام، بينما كان توزيع «أخبار اليوم» يقارب المئة ألف نسخة.

وتزينت الصفحة الأولى بأسماء رؤساء تحرير الجريدة وهم: «جلال الدين الحمامصي، وعلي أمين، وكامل الشناوي، ومحمد زكي عبد القادر، ومصطفى أمين»، علاوة على مدير تحرير الجريدة «محمد التابعي» الذي تم وضع اسمه قبل أسماء رؤساء التحرير تقديرًا لمكانته.

وخرج مانشيت الصفحة الأولى يقول:

- **حسين سري باشا يهاجم تعديل الدستور وقانون الانتخاب**
- **نص عريضة «الوفد إلى جلالة المَلِك**

لكن كان أكثر عنوان جاذب للقراء يقول:

- **المَلِك آل سعود يُرزق ولده الرابع والستين**
- **صاحب الجلالة في الخامسة والسبعين من عمره**

وقد روَّجت الجريدة لنفسها بعمل مسابقة كبرى للقراء في صدر صفحتها الأولى تحت عنوان «ألف جنيه لك» ونص الخبر يقول: «بعد أن ينتهي القارئ من قراءة جريدته اليومية تصبح لا قيمة لها، ولكن إذا احتفظت بجريدة(الأخبار) قد تكسب ألف جنيه مصري! ولكن بشرط أن تحتفظ كل يوم بقطعة منها.. اقطع رأس جريدة (الأخبار) واكتب عليها اسمك وبعد أن يتجمع لديك خمسة وعشرون عددًا متتاليًا عليها التاريخ أرسلها داخل مظروف إلى اليانصيب بجريدة (الأخبار) بشارع الصحافة.. وسيربح صاحب النمرة الأولى ألف جنيه».

لكن بعد أربعة أشهر فقط أراد مصطفى وعلي أمين حذف كلمة «الجديدة» والاكتفاء بكلمة «الأخبار» فعرضا على ورثة «أمين الرافعي» شراء رخصة جريدة «الأخبار»، ووافقت الأسرة، وتم تعديل الاسم نهائيًا.

(٣)

وفي مساء يوم الثلاثاء ٢٢ يوليو، وقبل أن ينتصف ليل القاهرة قام البكباشي «يوسف صديق» ورجاله باقتحام مركز قيادة الجيش وسيطر على منطقة كوبري القبة، ثم تحركت بعض القوات وتمت السيطرة على الموقف في الثالثة صباحًا، وفي السابعة والنصف من صباح اليوم التالي أذاع «محمد أنور السادات» البيان الأول لثورة ٢٣ يوليو.

وخرجت جريدة «المصري» في اليوم التالي الرابع والعشرين من يوليو

بصورة كبيرة لمجلس قيادة الثورة وبجوارها صورة أخرى للواء «محمد نجيب» وبجواره «علي ماهر باشا»، وأعلى الصورتين وأسفلها عدد من العناوين تقول:

- **علي ماهر باشا يؤلف الوزارة الجديدة**
- **اللواء محمد نجيب يقود حركة عسكرية مفاجئة**
- **القائمون بالحركة يقبضون على الفريق حسين فريد بك ومن معه من كبار الضباط.**
- **مظاهرات عسكرية بالدبابات والطائرات في الشوارع والميادين.**
- **احتلال محطة الإذاعة ومكاتب ماركوني**
- **الجيش يطالب بعودة الحياة النيابية السلمية وتطهير البلاد تطهيرًا كاملا**
- **الجيش يقرر عدم التدخل في السياسة بعد تأليف الوزارة**

وفي نفس اليوم أمر «الإمام أحمد» حاكم اليمن بمصادرة جميع أجهزة الراديو في اليمن وذلك حتى لا يتأثر الشعب اليمني بأخبار ثورة يوليو.

وفي الرابع والعشرين من يوليو أصدرت جريدة «المصري» لسان حال حزب «الوفد» مانشيتًا بالبنط العريض يقول:

- **كيف دبَّر فاروق حرق القاهرة؟**

وأسفل هذا السؤال عدة عناوين منها:

- **خطاب خطير لمصطفى النحاس في ذكرى سعد:**
- **استجاب الله لدعاء الملايين فأطاح الجيش بالطاغية**
- **اضطررنا لمسايرة المَلِك السابق حتى لا يفسد خططنا لإخراج الإنجليز**

- حاولوا قتلي أكثر من عشرين مرة للتخلص من صلابتي وتمسكي بحقوق الشعب

(٤)

وذات يوم رن جرس الهاتف في مكتب «مصطفى أمين»، وكان المُتصل «جمال عبد الناصر».

وطلب من «مصطفى» أن يكتب قصة الثورة، وأملاه أسماء التسعة الذين يتألف منهم مجلس الثورة، وروى له تفاصيل الثورة وأسرارها.

وأخبره أن البكباشي «أنور السادات» سيجتمع به في منزله بمنيل الروضة ليراجع كل مقال قبل نشره.

وراجع «السادات» المقال الأول، وقرأه «مصطفى أمين» في التليفون لـ«جمال عبد الناصر»، ولم يُعدِّل سوى ثلاث كلمات.

وفي اليوم التالي نشرت «الأخبار» صورة «جمال عبد الناصر» وحده في الصفحة الأولى، ونشرت باقي أعضاء مجلس الثورة الثمانية وهم: «عبد الحكيم عامر، وكمال الدين حسين، وخالد محيي الدين، وجمال سالم، وصلاح سالم، وعبد اللطيف البغدادي، وحسن إبراهيم، وأنور السادات»، في صفحة داخلية مع بقية المقال.

وفي الحلقة الثانية نشر «مصطفى أمين» قصة ضم «زكريا محيي الدين وعبد المنعم أمين وحسين الشافعي ويوسف صديق» إلى عضوية مجلس الثورة، ثم قصة ضم اللواء «محمد نجيب» وانتخابه رئيسًا لمجلس إدارة الثورة بعد تنازل «جمال عبد الناصر».

وفجأة حدث ما لم يكن «مصطفى أمين» يتخيله!

اتصل به «جمال عبد الناصر»، وقال له: «صدر قرار بالتحقيق معك لأن مقالاتك سبَّبت فتنة في القوات المسلحة، وأن قائد الجناح جمال سالم في طريقه إليك لمباشرة التحقيق»، ثم أغلق «عبد الناصر» الخط.

وأُصيب «مصطفى أمين» بالذعر، فتهمة إثارة فتنة في الجيش كفيلة بأن تذهب به إلى للقاء عشماوي.

وحضر «جمال سالم» إلى «أخبار اليوم» وصعد إلى مكتب «مصطفى أمين» ثم طلب منه بنبرة حادة أن يُغلق الباب!

وأغلق «مصطفى» الباب، وضحك «سالم» ثم قال: «جمال عبد الناصر رتَّب هذه المسرحية ليهدِّئ من ثورة الضباط الغاضبين من عدم ذكر أسمائهم، وأمر بوقف نشر المقالات، ويطلب منك أن لا يعلم أحد أنه مصدر تلك المعلومات».

وتوقفت حلقات سلسلة «سر الضباط التسعة»، ولم يروِ «مصطفى أمين» كواليس ما جرى إلا بعد تسع سنوات من رحيل «جمال عبد الناصر».

(٥)

وبدأ مجلس قيادة الثورة عملية تطهير الجهاز الحكومي من العناصر غير الموالية للثورة.

وأعد إسماعيل القباني، وزير المعارف، كشوفًا بأسماء الموظفين المطلوب تطهير جهاز الحكومة منهم، وكان من بينهم الأديب الكبير

«توفيق الحكيم» مدير دار الكتب المصرية.

وعُرضت الأسماء على «جمال عبد الناصر»، ووقعت عينه على اسم «توفيق الحكيم» فغضب، ونظر إلى وزير المعارف قائلًا: «كيف تفصل الثورة توفيق الحكيم وهو الرجل الذي تأثرنا بكتابه عودة الروح؟! هذا أمر لا يليق.. ولا يمكن».

ثم أمسك «جمال» بالقلم، وشطب اسم «الحكيم».

(٦)

وفي الوقت الذي كان فيه الضباط الأحرار يقومون بتطهير المؤسسات الحكومية، طالب «محمد حسنين هيكل» رئيس تحرير مجلة «آخر ساعة» بتطهير الصحافة المصرية، وكتب مقالًا جاء فيه: «صاحبة الجلالة الصحافة وأفراد بلاطها السعيد يقومون هذه الأيام بدور غريب عجيب.. بعض أفراد هذا البلاط استباحوا لأنفسهم مقعد النائب العمومي وجلسوا يوجِّهون الاتهام ذات اليمين وذات اليسار ويحددون مَن الذي تُعلَّق رقبته في حبل المشنقة ومَن الذي يُكتفى بوضعه وراء القضبان».

واستطرد «هيكل» قائلًا: «إنني أعتقد أننا نحن أفراد صاحبة الجلالة آخر مَن يحق لهم أن يستبيحوا لأنفسهم مقعد النائب العمومي موزِّع الاتهام، وآخر مَن يحق لهم أن يقلِّدوا كلاب الصيد ويبحثوا عن الفرائس، آخر مَن يحق لهم شيء من هذا لسبب واحد.. هو أننا في حاجة أيضًا إلى تطهير».

وأردف «هيكل» قائلًا: «من سوء الحظ أننا نملك قوة هائلة نحاسب بها الناس ولكن نمنع الناس أن يحاسبونا.. إنني أقولها بصراحة وأنا أعتقد

أنها ستجلب لي متاعب الدنيا والآخرة، إن بلاط صاحبة الجلالة في حاجة إلى تطهير كبير.. إن الصحافة اليوم ليست ملك أصحاب الصحف، ولا ملك المحررين، إنما الصحافة اليوم مؤسسة عامّة تؤدي دورًا بالغ الخطورة.. إنها أشبه ما تكون بعجلة القيادة للرأي العام وينبغي أن تتوافر كل الضمانات لعجلة القيادة فلا يكون بها خلل ينحرف بالمركبة».

وفي العام التالي بدأت الحرب على الصحافة!

obeikandl.com

١٩٥٣

من فاطمة إلى عبد الناصر

(١)

في صباح يوم الأحد الثامن عشر من يناير أصدر الحاكم العسكري أمرًا بتعطيل بعض الصحف والمجلات منها: الفداء، والكاتب، والملايين، والنذير، والواجب، والمعارضة، والميدان.

وعلل صدور الحكم بتحقيق صالح الدولة، وأمنها، وضمان سلامتها، وحماية المصريين من مرِّوجي الأخبار المغرضة المثيرة والباعثة على الفتنة وإثارة الاضطراب. ولم يتم الاكتفاء بمصادرة الصحف، لكن تم أيضًا اعتقال صاحب مجلة «الفداء»، وأحد المحررين بها، ورئيس تحرير مجلة «النذير»، وتم اتهام الثلاثة بإثارة الطوائف.

كانت هذه واحدة من أسوأ السنوات التي مرت على صاحبة الجلالة، فبجانب مصادرة عدد كبير من الصحف، هناك صحف ومجلات أخرى صدر العدد الأخير منها؛ فقد توقفت مجلتا «الثقافة» و«الرسالة» بعد عشرين عامًا على تأسيسهما.

(٢)

قرارات مجلس قيادة الثورة بمصادرة بعض الصحف، والتضييق على البعض الآخر دفع السيدة فاطمة اليوسف صاحبة مجلة «روزاليوسف» إلى أن تكتب خطابًا في الحادي عشر من مايو إلى «جمال عبد الناصر» -الذي كان صديقا لابنها إحسان- تشكو إليه ما يجري للصحافة، وتنبهه إلى خطورة سيطرة الرأي الواحد قائلةً: «إنك بحاجة إلى الخلاف تمامًا كحاجتك إلى الاتحاد إن كل مجتمع سليم يقوم على هذين العنصرين معًا، ولا يستغني بأحدهما عن الآخر.. وأنت تؤمن بهذا كله لا شك في ذلك، وقد قرأتُ لك غير بعيد حديثًا تطالب فيه بالنقد وبالآراء الحرة النزيهة ولو خالفَتْك، ولكن أتعتقد أن الرأي يمكن أن يكون حرًّا حقًّا وعلى الفكر قيود؟».

وتابعت «فاطمة اليوسف» قولها: «لا تصدق ما يقال من أن الحرية شيء يباح في وقت ولا يباح في وقت آخر، فإنها الرئة الوحيدة التي يتنفس بها المجتمع ويعيش، والإنسان لا يتنفس في وقت دون آخر، إنه يتنفس حين يأكل، وحين ينام، وحين يحارب أيضًا».

ووصل الخطاب إلى «جمال عبد الناصر»، وقرأه، وقرر أن يرد عليه بخطاب آخر جاء فيه: «أنا بطبعي أكره كل قيد على الحرية، وأمقت بإحساسي كل حدٍّ على الفكر على أن تكون الحرية للبناء وليس للهدم، وعلى أن يكون الفكر خالصًا لوجه الوطن، وأنا لا أخشى من إطلاق الحريات وإنما أخشى أن تصبح الحرية تُباع وتُشترى كما كانت قبيل ٢٣ يوليو سلعًا تُباع وتُشترى.. ومع ذلك فأين الحرية التي قيّدناها؟».

وتابع «عبد الناصر» قوله: «أنتِ تعلمين أن النقد مباح، وأننا نطلب

التوجيه والإرشاد ونلحّ في الطلب، بل إننا نرحِّب بالهجوم حتى علينا إذا كان يُقصد منه صالح الوطن وبناء مستقبله، وليس الهدم والتخريب، ومجرد الإثارة.. ذلك لأنني أعتقد أنه ليس بيننا من هو فوق مستوى النقد أو من هو منزَّه عن الخطأ».

ونُشر خطاب «عبد الناصر» بتوقيعه على صفحات مجلة «روزاليوسف».

(٣)

ومرَّ شهر، وتعرض «جمال عبد الناصر» لوعكة صحية دخل على أثرها إلى مستشفى الدكتور «مظهر عاشور» بمنشية البكري، وخضع «جمال» لعملية جراحية لاستئصال الزائدة الدودية.

وذهب «أنور السادات» لزيارة «جمال» في المستشفى وفي أثناء جلوسهما في الغرفة فاجأ «ناصر»، «أنور» قائلًا: «إيه رأيك تكون المشرف على جورنال ثورة يوليو؟».

وقبل أن يجيب «السادات» عن السؤال أضاف «جمال»: «لازم الثورة يكون لها صحافتها».

لم يعقِّب «أنور السادات»، ثم طلب مهلة للتفكير؛ فإصدار جريدة يومية أمر شاقّ وعسير ويحتاج إلى استعداد وتجهيزات ومطابع وعمال مهرة وأسرة تحرير، وإدارة توزيع، وإعلانات -على حد السادات- ورغم أنه عمل لفترة من الوقت في «دار الهلال» فإنه كان قلقًا من الإشراف على جريدة جديدة باسم الثورة، وربما لم يكن متحمسًا لهذا التكليف، ربما كان يريد لنفسه دورًا مختلفًا!

وبعد يومين عاد «أنور» إلى «عبد الناصر» وأخبره أن المهمة مستحيلة، وتحتاج إلى وقت طويل، فرد «جمال» حاسمًا: «إذن كيف قمنا بالثورة وسط كل المصاعب التي كانت حولنا، إن الثورة لا بد أن تكون لها صحافتها، والجريدة لا بد أن تصدر قبل نهاية العام»، فقبل أنور السادات المهمة.

وفي ١٨ يوليو وجّه مدير المطبوعات خطابًا إلى هيئة التحرير يحمل الموافقة على إصدار الجريدة الجديدة، وبعد أسبوعين أستأجر شقتين بالطابق الخامس في العقار رقم ٣٦ بشارع شريف، وأخذ السادات يتردد على هذا المقر بصفة دائمة، ويجتمع مع مجموعة من الذين تم اختيارهم للعمل في الجريدة وكان على رأسهم الكاتب الصحفي «حسين فهمي» الذي تم ترشيحه ليكون أول رئيس تحرير للجريدة الجديدة، وقد بدأ التحضير لإصدار الجريدة في سبتمبر.

وبدأ البحث عن اسم للجريدة، وكان «عبد الناصر» يريد أن يسميها «التحرير»؛ لكن «فهمي» أقنعه أن يكون اسمها «الجمهورية» تيمُّنًا بتحول مصر من المَلَكية إلى الجمهورية -وذلك على حد تعبيره- وقد اختار يوم ٧ ديسمبر لأن رقم «٧» يحمل التفاؤل به على عادة العرب.

وعند الثانية بعد منتصف الليل، دارت ماكينات الطباعة ليتسلم «السادات» أول أعداد «الجمهورية»، وفي الصباح الباكر توجه إلى منزل «عبد الناصر» فوجده يتناول الإفطار فسلمه العدد الأول من الجريدة صباح يوم الاثنين ٧ ديسمبر، وكان عبارة عن ١٢ صفحة، والسعر ١٠ مليمات، وتصدرت الصفحة الأولى عدة عناوين منها:

- **نص اتهام فؤاد سراج الدين**
- **صلاح سالم يحكي قصة المباحثات**
- **تقديم أشقاء زينب الوكيل إلى محكمة الثورة**

وقد كتب «جمال عبد الناصر» مقالًا في الصفحة السادسة بعنوان «فلنصارِح ولا نجامل».

وفي نفس الصفحة كتب «أنور السادات» مقالًا بعنوان «الجمهورية» جاء فيه: «هذه الجمهورية تشق طريقها إليك بين الصحافة العربية، وتشق طريقها واضحًا لا تخبُّط فيه، ولا التواء، ولا مجاملة، ولا تحامل.. إنها جريدة حرة حرية الثورة التي تضيء طريقها بنار الحق، ونار الحق تحرق الأصنام وتحرق المفاسد، وهي جريدة قوية قوة الثورة».

لكن اللافت أن «السادات» نشر في الصفحة الخامسة مقالًا احتل الصفحة بأكملها تحت عنوان: «ذهب المَلِك.. تحيا الثورة»، ومعه عدة عناوين أخرى منها: «صفحات مجهولة من كتاب الثورة.. السياسيون يستعملون أسلحة جديدة لتضليل الشعب».

وسرد «السادات» تفاصيل قصته مع حسن البنا، ودور الإخوان في التمهيد لثورة يوليو، وصدرت تلك الحلقات في كتاب، كتب مقدمته «جمال عبد الناصر»!

وقد انضم إلى الجريدة في أعدادها الأولى عدد كبير من كبار الكتاب والمفكرين، من بينهم عميد الأدب العربي «طه حسين»، والدكتور «محمد مندور»، والدكتور «لويس عوض»، والدكتور «خالد محمد خالد»، وعميد المسرح العربي «زكي طليمات» وضمت أيضًا عددًا من الضباط الذين شاركوا في الثورة.

لكن اللافت أن الحملة الإعلانية لـ«الجمهورية» كان الأضخم في تاريخ الصحافة، فقد شاركت فيها الطائرات!

فقد تم إلقاء الإعلانات التي تحمل أسماء وصور الصحفيين والكتاب على الناس في الشوارع والميادين، وبالأخص ميدان التحرير.

المدهش أنه بعد شهور قليلة من صدور الجريدة فكر «عبد الناصر» في إغلاقها، لكن «حسين فهمي» رئيس تحريرها أقنعه باستمرارها.

(٤)

في خضم تلك الأحداث حضر «إحسان عبد القدوس» اجتماع رؤساء التحرير العالميين في مدينة «كان» بفرنسا.

وهناك التقى سكرتير المَلِك فاروق، وأبدى «إحسان» استياءه من هجوم المَلِك فاروق على الثورة في الصحف الأجنبية، وقال له: «المَلِك سيظل طوال عمره يدفع نفسه للهلاك.. هو بيهاجم الثورة ليه؟ الثورة عاملته أحسن معاملة وتركته يخرج في أمان وتركت له ثروته.. انصحه أن يصمت».

فرد عليه سكرتير المَلِك: أنا لا أستطيع أن أنصحه.

فقال «إحسان»: أنا مستعد أن أتحدث إليه.

فرد السكرتير: اتفقنا سأحدد لك موعدًا عاجلًا.

وبالفعل تم تحديد الموعد في الساعة ١١ ظهر اليوم التالي.

وحين عاد «إحسان» إلى الفندق قصَّ على زوجته ما جرى، فثارت عليه، وغضبت، وقالت له: «لا تقابل فاروق.. كيف تقابله؟ هو يعتبرك أنت الذي قمت بالثورة».

فرد إحسان عليها قائلًا: «إنها خبطة صحفية.. سأذهب لعمل حديث مع المَلِك فاروق.. أول حديث صحفي مع المَلِك لصحيفة مصرية بعد الثورة».

لكن زوجته أبت وظلت على رأيها، وتوسلت له أن لا يفعل، وبكت

بين يديه، وبدأ «إحسان» يراجع نفسه، ويفيق من الشهوة الصحفية، وقرر أن يطاوعها.

وفي صباح اليوم التالي أرسل ورقة صغيرة لسكرتير المَلِك فاروق، لم يكتب فيها سوى أربع كلمات: «آسف اضطررت إلى السفر فجأة».

ونسي «إحسان عبد القدوس» الواقعة.

ومر عام، وترك السكرتير عمله لدى المَلِك بعد خلاف كبير بينهما، وقرر سكرتير المَلِك أن ينشر مذكراته، ونشرها، وقرأها «إحسان» ووجد فيها ما لم يخطر بباله مطلقًا، فقد جاء فيها: «أن المَلِك فاروق خطط لقتل إحسان عبد القدوس، عن طريق حرسه الخاص».

وكانت الخطة أن يوافق المَلِك على أن يذهب إليه «إحسان» في بيته، وبمجرد أن يضع قدمه في المنزل يقتله الحرس بحجة أنه قد حضر لقتل المَلِك!

لكن ما جرى لإحسان في العام التالي لم يخطر له على بال!

obeikandl.com

١٩٥٤

الجمعية السِّرية التي تحكم مصر

(١)

في صباح يوم ٢٨ أبريل استيقظ الناس على خبر صادم يقول: صدر قرار باعتقال «إحسان عبد القدوس» بتهمة قلب نظام الحكم!

وفي ٣١ يوليو فوجئ إحسان عبد القدوس بحارس السجن يفتح زنزانته رقم ١٩ بالسجن الحربي، وهو متهلل الوجه على غير عادته، ويقول له: «مبروك يا بيه.. سيادة المدير عاوزك في مكتبه.. حتوحشنا والله»!

وفي مكتب قائد السجن الحربي «اللواء حمزة البسيوني» عرف أنه صدر قرار بالإفراج عنه، ولم يعلم سبب الإفراج مثلما لم يعرف سبب الاعتقال.

وخرج من بوابة السجن في صحبة أسرته، ونجله «متشعبط» في رقبته، وبمجرد أن وصل إلى بيته، ووسط الفرحة الغامرة، فجأة دق جرس التليفون فسكت الجميع.. «جمال عبد الناصر» على الخط!

لم يصدق «إحسان» نفسه، لم يتصور أن يكون «جمال عبد الناصر» هو أول المهنِّئين بخروجه من السجن.

وأمسك «إحسان» بسماعة الهاتف، قائلًا: أهلًا يا ريس (وكانت تلك المرة الأولى التي يقول فيها «إحسان عبد القدوس» لجمال عبد الناصر يا ريس، فقد اعتاد أن يناديه يا «جيمى»!).

وجاءه صوت «عبد الناصر» ضاحكًا يقول: «هيه.. اتربِّيت ولّا لسه يا إحسان؟»، ولم يُجب «إحسان»، فواصل «عبد الناصر» حديثه، وهو ما زال يضحك قائلًا: «تعالى افطر معايا بكرة في البيت.. أنا منتظرك ماتتأخرش!».

وفي صباح اليوم التالي ذهب «إحسان» إلى منزل «عبد الناصر» في منشية البكري، وجلسا معًا على مائدة الإفطار، واحتسيا الشاي، والصمت يسود الاثنين، وفجأة قطع «جمال» جدار الصمت قائلًا: «السجن خير مربٍّ وأعظم معلِّم، لكن أَعدك أن أزيل كل الآثار التي سبَّبها لك السجن».

ولم يُعقِّب «إحسان»، وضحك «عبد الناصر»، وغيَّر الموضوع، وقبل أن ينتهي اللقاء دعا «عبد الناصر»، «إحسان» لزيارته مرة أخرى لتناول العشاء معه.

وتكررت الدعوات، وكان أغلبها لتناول العشاء، ومشاهدة فيلم سينمائي في حجرة أعدَّها «جمال» لذلك، واستمرت دعوات «عبد الناصر» لـ«إحسان» عدة أشهر، وفي أحد هذه اللقاءات قال «عبد الناصر» مخاطبًا «إحسان»: «أعتقد يا إحسان أنني قد عالجتك نفسيًّا من صدمة السجن».

(٢)

ربما عالج «عبد الناصر» نفسية صديقه القديم «إحسان» لكنه لم يقل له سبب دخوله السجن؛ لكنّ هناك سببًا بدا واضحًا أنه مهَّد الطريق إلى السجن الحربي.

ففي ٢٢ مارس كتب «إحسان عبد القدوس» مقالًا بعنوان «الجمعية السِّرية التي تحكم مصر» وجاء فيه: «مَن يحكم مصر منذ قيام حركة الجيش؟ إنه مجلس الثورة.. ماذا تعلم أنت عن مجلس الثورة وما يدور فيه.. وماذا يعلم عنه أي مصري سواء كان مقربًا من أعضاء المجلس أو مُبعدًا عنهم؟ لا شيء.. لا شيء البتة»!

وتابع «إحسان» قوله: «إنها جمعية سرية، لا تزال كما كانت قبل الحركة تعمل تحت الأرض ويجتمع أعضاؤها بالنهار والليل.. لا يعلم أحد عمَّ يتحدثون وماذا يقررون؟! فأعضاء مجلس الثورة لم يستطيعوا -دون قصد منهم- أن يفرِّقوا بين وضعهم قبل الحركة ووضعهم بعد الحركة، ولم يستطيعوا أن يفرِّقوا بين واجبهم كجماعة تعمل لقلب نظام الحكم، وجماعة تعمل لاستتباب نظام الحكم، ولم يستطيعوا أن يفرِّقوا بين الأيام التي عاشوا فيها يخافون القانون والبوليس والمخابرات، والأيام التي جمعت في أيديهم القانون والبوليس والمخابرات.. كانوا قد تعوَّدوا العمل كجمعية سرية، وارتاحوا إلى هذه الطريقة في العمل ونجحوا فيها، فلم يحاولوا تبديلها، أو تعديلها».

واستطرد «إحسان» قائلًا: «إذا طالبت بإنهاء الثورة فلستُ مبالغًا، ولا متطرفًا، إنما هو الوضع الطبيعي، فليس هناك بلد يستطيع أن يعيش في نظام ثوري إلى الأبد، ولا حتى عامًا أو عامين، إنما الثورة تقوم لتقضي على نظام فاسد، وتضع آخر بدلًا عنه فورًا، نظامًا آخر طبيعيًّا تستقر عليه البلاد ويحقق الأهداف التي قامت من أجلها الثورة، أما أن نقف جامدين في انتظار مفاجأة، وفوق شفاهنا كلمات السخط والنقد والتردد وعدم الثقة، فلن يؤدي بنا ذلك إلى شيء إلا أن نفسح المجال لطاغية، والعبيد هم الذين يخلقون الطغاة».

(٣)

في تلك الأثناء طلب الأثري والأديب «كمال الملاخ» من مصلحة الآثار أن يعيد البريق إلى الهرم الأكبر بتنظيف الطريق المؤدي إليه من الرمال المترامية فوقه، فتمت الموافقة، وبدأ العمل، وفي أثناء عملية التنظيف جاءه كبير العمال ليقول له: لقد عثرنا على «دبش»!

شعر «الملاخ» بأن هناك شيئًا ما خلف هذا «الدبش»، فبدأ النبش خلفه، وقام بحفر ١٨٠ مترًا وراء هذا الحجر الكبير فاكتشف سورًا يبلغ طوله نحو ١٥٠ مترًا، ثم عثر على أحجار جيرية تحت السور، ثم بدأ يطرق أبواب الأحجار، فشاهد شيئًا أسود لم يحدده، لكن بعد أن تفحصه، انتفض صائحًا فيمَن حوله: «مركب.. دي مراكب الشمس بتاعة المَلِك خوفو يا جماعة»!

لم يُصدق «الملاخ» نفسه من الفرحة بعد اكتشافه لواحد من أكبر الاكتشافات الأثرية في القرن، فخرج معلنًا عن الاكتشاف الكبير الذي احتفى به كل علماء الدنيا، ونقلته وكالات الأنباء، وعُرفت مراكب المَلِك خوفو باسم «مراكب الشمس».

لكن حين عاد «الملاخ» إلى مقر عمله في مصلحة الآثار وجد ورقة مُعلقة باسمه في كشف «الخصومات»، فقد عوقب بخصم عشرة أيام من راتبه لأنه أعلن عن الكشف دون إذن!، فقرر «كمال الملاخ» أن يتجه إلى الكتابة في الصحف والمجلات.

(٤)

ولمعت مجلة «الجيل الجديد».

كانت مجلة أسبوعية تصدر عن «أخبار اليوم»؛ لكنها مختلفة المذاق، وأغلفتها تسبق عصرها بسنوات طويلة، ويرأس تحريرها الكاتب الصحفي «موسى صبري».

وانضم إلى المجلة عدد كبير من كبار الكتاب، من بينهم: جلال الدين الحمامصي، وأحمد لطفي السيد، وأنيس منصور، ومحمد عفيفي، وأحمد رجب، الذي كان يحرر صفحة الحوادث!

وقد كتب الأستاذ «جلال الحمامصي» مقالًا جاء فيه: «إن الإحصائيات العالمية كلها تُجمع على أن الصحف المسائية أوسع انتشارًا من الصحف الصباحية، ومثال لذلك الإحصائية الأمريكية الأخيرة التي تقول إن عدد الصحف المسائية بلغ ١٤٥٨ صحيفة توزِّع ما يزيد على ٣٣ مليون نسخة يوميًّا، بينما يبلغ عدد الصحف الصباحية ٣٢٧ صحيفة -أي أن الصحف المسائية تبلغ أربعة أمثال الصحف الصباحية- ويبلغ ما توزعه ٢٢ مليون نسخة».

وأردف «الحمامصي» قائلًا: «أما في مصر فالصحف المسائية قد ماتت واحدة بعد الأخرى، ومرت فترة ليست بالقصيرة لم تكن في مصر صحيفة مسائية واحدة».

(٥)

وفي السادس والعشرين من أكتوبر تم إطلاق الرصاص على «جمال عبد الناصر» في حادثة المنشية بالإسكندرية.

وحينها استدعى «علي أمين» رئيس تحرير «أخبار اليوم» آنذاك، الصحفي الشاب «فتحي غانم»، وقال له: «ألست قصَّاصًا؟ نريدك أن تذهب إلى بيت المتهم بالاعتداء على عبد الناصر في حي بولاق، وتكتب لنا صورة قلمية لما تراه».

وراح غانم ووصف ما شاهده ببساطة ووضوح وواقعية: «سُلّم في بيت قديم متآكل، حجرة بها سرير فوقه مفرش كاروهات، مشنة عيش، ترابيزة خشب متواضعة، امرأة صغيرة السن تحمل طفلًا رضيعًا، في عيونها ذهول وخوف شديدان، ومن حولها أعداد ضخمة من رجال الأمن».

وجاء التعليق على هذه القصة الخبرية من الرئيس «عبد الناصر»، فقد قال: «ما كتبه ذلك الصحفي قد أثار التعاطف المبالغ فيه مع المتهم»!

(٦)

وصدر قرار من مجلس قيادة الثورة بحل مجلس نقابة الصحفيين، ثم بدأت الثورة تُصدر صُحفها!

فأصدرت منظمات الشباب العدد الأول من مجلة «الثورة» وهي مجلة أسبوعية، شعارها «لا شرقية ولا غربية»، ولم تستمر سوى عامين.

وبدأت مجلة «التحرير» تصدر أسبوعيًّا كل يوم ثلاثاء، ومديرها العام «محمد أنور السادات» -وقد توقفت بعد ست سنوات فقط- وظهرت أيضًا مجلة «الرسالة الجديدة» برئاسة تحرير «يوسف السباعي».

في هذه الأثناء جاء أحد العاملين بالإعلانات في «أخبار اليوم»، وقال لـ«أحمد رجب»: «عندي قصة حلوة ينفع تنشرها» وأخرج له صورة أحد أقاربه، وقال له: «هذا الرجل يعمل مقرئًا، وهناك سيدة سورية تحبه وتطارده».

وأعجبت القصة «أحمد رجب»، ونشرها، وأطلق على المقرئ الشاب لقب «الشيخ براندوا» ونشر صورته، حيث كان يشبه الممثل العالمي «مالون براندوا»، واشتهر المقرئ وارتفع أجره من ٣٠ جنيهًا إلى ٣٠٠ جنيه، وصار واحدًا من علامات قراءة القرآن في مصر، إنه الشيخ «عبد الباسط عبد الصمد»!

وتدخل «جمال عبد الناصر» لوقف الحلقات حرصًا على الشيخ الجليل.

obeikandl.com

١٩٥٥

اخْرج أيها الوزير الصغير

(١)

صدر حديثًا ديوان اسمه «كلمة سلام» لشاب عمره ٢٥ عامًا، لا أحد يعرفه.

لكن حين قرأ الأديب «فتحي غانم» القصائد شعر أنه أمام شاعر كبير، فقرر أن يكتب عنه مقالًا في مجلة «آخر ساعة» بعنوان «شاعر عمره خمسة آلاف سنة» جاء فيه: «احتفل شاعر مصري كبير بعيد ميلاده الخامس والعشرين منذ ثلاثة أيام، هذا الشاعر صغير السن ما زال مجهولًا، ولم يقرأ له أحد بيتًا من الشعر، لكنه نشر أشعارًا أخيرًا منذ أيام ليقرأها المصريون والشرقيون ولتُترجَم إلى العالم أجمع، اسمه «صلاح جاهين».. اذكروا هذا الاسم جيدًا وارقبوه فأنتم وحدكم القادرون على أن ترفعوه إلى أعلى قمم الفن، وأنتم القادرون على أن تُهيلوا عليه تراب النسيان».

وتابع «غانم» قوله: «إن أشعاره باللغة العامية التي يتكلم بها المثقفون من أبناء الشعب، فهي ارتقاء باللغة العامية، أما موضوعاته فهي أحداث مصر في الفترة الأخيرة -ما قبل الثورة- كانت تسجيلًا فنيًّا للاستعمار في مصر، والجنود الإنجليز في أرضنا، ومعركة القنال، ومأساة فلسطين،

obeikandl.com

واللاجئين المشردين في الصحراء، والإقطاع، والفلاحين، والصيادين، والعمال.. إنك تحس وأنت تقرأ هذه الأشعار أن جاهين الذي وُلد منذ ربع قرن، عمره الحقيقي كمصري آلاف السنين».

لكن المدهش أنه عقب نشر المقال، فوجئ «غانم» برسالة من الرئيس «عبد الناصر»!

وقد حمل الرسالة الأستاذ «محمد حسنين هيكل» الذي قال لـ«غانم»: «الرئيس بيقولك أنت بتكتب عن الشيوعيين ليه؟».

فتعجب «غانم» مما قاله «هيكل»، وقال له: « تقصد مين؟!».

فأجاب «هيكل»: «صلاح جاهين، كلمة سلام».

فضحك «غانم»، وهز كتفه مندهشًا، ثم قال له: «أنا مقتنع بما أكتبه»، ثم تركه وانصرف.

(٢)

ولم يكتفِ «عبد الناصر» بقراءة الصحف، بل كان يكتب فيها أيضًا؛ فقد كتب مقالًا في جريدة «الأهرام» بعنوان: «روح الثورة»، جاء فيه: «روح الثورة هو المعنى الذي قامت الثورة من أجله، وعملت على تأكيده ليستقر في النفوس، ويصبح الدستور الذي لا دستور بعده.. وروح الثورة المصرية تتمثل في خلق وعي مصري جديد، يؤمن بالاشتراكية الديموقراطية أسلوبًا ومعنى، لتسود العدالة الاجتماعية، وتقوم عُمُد الوطن على أساس سليم فلا حرب تشبّ بين الطبقات، ولا تُثري جماعة على حساب أخرى، ولا تتحكم أقلية في أكثرية.. وإننا ندعو اليوم إلى إيجاد ديموقراطية سليمة نظيفة متماشين مع طبائعنا، وروح العصر، ومنطق الثورة».

ولم يكن «عبد الناصر» مهتمًا بالصحف فقط، بل كان مُهتمًا بالسينما أيضًا.

فقد ذهب بنفسه في هذا العام لحضور حفل افتتاح فيلم «إسماعيل ياسين في الجيش»، وكان يحرص على مشاهدة أفلامه كل يوم جمعة.

اهتمام «جمال عبد الناصر» بالصحافة والسينما يعكس وجود حالة عامة في مصر تحتفي بالفن والأدب، وتحب المثقفين حتى وإن اختلفنا في توظيف تلك المحبة!

(٣)

لكن لم تَسِر الأحوال على وتيرة واحدة، ففي تلك الأثناء حدث خلاف شديد بين «جمال عبد الناصر»، والصاغ «صلاح سالم» وزير الإرشاد. وكانت غالبية مجلس قيادة الثورة تقف ضد «صلاح سالم».

وفجأة دق جرس التليفون في مكتب «مصطفى أمين»، وكان المتحدث «جمال عبد الناصر».

كان صوت «جمال» به نبرة غضب؛ لكن سرعان ما اكتشف «مصطفى أمين» أن هذا الغضب ليس منه، وإنما من أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة.

فقد قال له «عبد الناصر»: فاكر مقالك «اخرج أيها الوزير الصغير».

فأجاب «مصطفى»: نعم.

فقال «عبد الناصر»: نفسي تكتب مقال عن «صلاح سالم» بنفس العنوان.

ولهذا المقال قصة..

فقد كتبه «مصطفى أمين» قبل الثورة، وسخر فيه من تعيين الدكتور «محمد هاشم» الذي كان زوج ابنة رئيس الوزراء، فعلّق «أمين» بمقال

جاء فيه: «من نكد الدنيا أن صاحب المعالي الأستاذ محمد هاشم أصبح وزيرًا في هذا البلد، لا لأنه كفاءة ممتازة، ولا لأنه نائب بارز، ولا لأنه قطب من أقطاب الأحزاب، ولكن لأنه زوج بنت رئيس الوزراء».

وتابع «مصطفى أمين» قوله: «بِاسم مَن تحكم أيها الوزير الصغير؟! إنك لا تمثل أحدًا في هذا البلد، لا هيئة، ولا حزبًا، ولا فكرة، ولا رأيًا عامًّا، ما أنت إلا صِهر رئيس الوزراء».

لكن المدهش أن هذا المقال مرّ على الرقيب، وسمح بنشره؛ لكن المفاجأة أن هذا الرقيب كان الدكتور «محمد هاشم» الذي يسخر منه المقال. لكن «هاشم» لم يخرج من الوزارة؛ بل تمت ترقيته من وزير دولة ليصبح وزيرًا للداخلية.

تذكّر «مصطفى أمين» كل ما جرى حين هاتفه «عبد الناصر»، وربما تعلم من الدرس السابق أنه لا شيء يتغير؛ فلم يكتب المقال، وربما كان ذلك من حُسن حظه!

obeikandl.com

١٩٥٦

سنقاتل.. سنقاتل.. سنقاتل

(١)

التقى «جمال عبد الناصر» مع «صلاح سالم»، وتصالحا.

وكان عربون ذلك الصلح أن وافق «عبد الناصر» على أن يُصدر جريدة يومية يكون «صلاح» مسؤولا عنها، وأطلق عليها جريدة «الشعب».

وفي العاشر من يونيو أمر «جمال عبد الناصر» بحذف جميع المواد التي تحمي رئيس الجمهورية من نقد الصحافة من قانون المطبوعات.

وبعد ثلاثة عشر يومًا تم الاستفتاء الشعبي على الدستور، وانتخاب «جمال عبد الناصر» رئيسًا للجمهورية.

وفي اليوم التالي خرجت عناوين جريدة «الأخبار» تقول:

- **آخر نتائج الاستفتاء على الدستور**
- **ستة ملايين ونصف قالوا «نعم» و٦٥ شخصًا قالوا «لا»**
- **٩٩,٩٪ انتخبوا «جمال عبد الناصر» رئيسًا للجمهورية**

وفي السادس والعشرين من يوليو أعلن «جمال عبد الناصر» تأميم الشركة العالمية لقناة السويس البحرية لتصبح شركة مساهمة مصرية.

وفي نفس اليوم احتجّت بريطانيا وفرنسا على قرار التأميم، وبعد شهر واحد، أعلنت بريطانيا تجميد أرصدة مصر لديها، وكذلك فعلت فرنسا وأمريكا.

ووقع العدوان الثلاثي على مصر، وصارت مانشيتات الصحف تتقدم صفوف المعركة، وصارت مقالات الصحفيين وقودًا لتلك الحرب.

وكان من بين تلك الصحف جريدة «الشعب» التي كانت واحدة من أكثر الصحف اهتمامًا بذلك الحدث، ففي الثلاثين من أكتوبر كان مانشيت الجريدة يقول:

- **إسرائيل تتحرك وتهاجم الحدود المصرية**

وفي الثاني من نوفمبر كان العنوان الرئيسي يقول:

- **سنقاتل.. سنقاتل.. سنقاتل**
- **قطع جميع العلاقات مع فرنسا وبريطانيا**
- **ترحيل السفير البريطاني فورًا**
- **إسقاط ١٨ طائرة للعدو**
- **١٠ غارات على القاهرة أمس**
- **إعلان حالة الطوارئ**
- **اعتقال ٥٠٠ خبير بريطاني**
- **تعطيل الملاحة**

وفي الصفحة الرابعة من نفس العدد خبر يقول: «الصاغ صلاح سالم رئيس تحرير جريدة الشعب ينضمّ إلى جيش التحرير».

ورأى «صلاح سالم» أحد قيادات ثورة يوليو، أنه ينبغي على مصر أن تستسلم تجنبًا للخراب، وأن يقوم أعضاء مجلس قيادة الثورة بتسليم أنفسهم للقوات البريطانية.

فقرر «عبد الناصر» عزل «صلاح سالم» من منصبه كرئيس لتحرير جريدة «الشعب» التي كانت قد تأسست قبل أشهر قليلة من تلك

الواقعة، وعيَّن بدلًا منه «أحمد لطفي واكد» أحد الضباط الأحرار.

لكن بعد شهور قليلة صدر قرار بعزل «أحمد لطفي» من منصبه، وجاء من بعده «أحمد بهاء الدين».

ولم تستمر التجربة طويلًا فقد تقرر دمج صحيفتي «الشعب» و«الجمهورية» وصار اسم الصحيفة الجديدة «الجمهورية جريدة الشعب».

لكن قبل سبعة أيام فقط من نهاية العام انسحبت القوات الفرنسية والبريطانية من مدن القناة بفضل صمود أهالي بورسعيد.

وفي الحادي والثلاثين من ديسمبر خرجت جريدة «الشعب» مبتهجة بالنصر، وجاءت عناوينها كالتالي:

- **الرئيس يقول: انتصرت القومية العربية.**
- **الخطة الكاملة للعدوان**
- **أول تقرير عسكري بريطاني عنها**
- **فرنسا تُزوِّر الأوراق المالية المصرية**

(٢)

لكن في بداية العام، كان هناك حدث آخر، جمع أغلب أساطين المهنة.

ففي الثاني عشر من يناير صدر العدد الأول من مجلة «صباح الخير»، وتم اختيار «أحمد بهاء الدين» ليكون رئيسًا لتحريرها.

حينها لم يكن «بهاء» قد تجاوز التاسعة والعشرين من عمره؛ لكنه استطاع أن يحقق قفزة كبيرة في تطور الصحافة المصرية، ويجعل من مطبوعة حديثة بمثابة نغمة مغايرة لما هو سائد، وروح جديدة، وصيغة مبتكرة لم يعهدها القارئ من قبل.

فجذبت «صباح الخير» شريحة جديدة من القراء، وجذبت أيضًا جيلًا جديدًا من الكتاب الذين صاروا نجومًا فيما بعد.

فقد جمع «بهاء» في هذه التجربة «صلاح عبد الصبور، وكامل زهيري، ورجاء النقاش، ومصطفى محمود، وفتحي غانم، ومحمود المراغي»، والرسامين «جمال كمال، وحسن فؤاد، وصلاح جاهين، وجورج بهجوري، وحجازي، وهبة عنايت، وإيهاب شاكر، وأبو العينين، ويوسف فرنسيس»، وغيرهم من كبار المبدعين.

وعن سر تسمية مجلة «صباح الخير» بهذا الاسم كتبت «فاطمة اليوسف» في افتتاحية العدد الأول تقول: «صباح الخير.. إنه اسم أتفاءل به.. لقد خُلقت بطبيعتي أحب الصباح، وأكره الغروب، مهما كانت الظروف، أشعر دائمًا مع كل صباح أنني قوية مبتهجة مشرقة، وأشعر دائمًا مع كل غروب بوحشة، كسل وشحوب، بل انقباض».

وتابعت قولها: «الصباح رمز الأمل والغروب فيه معنى الخيبة والفشل.. (صباح الخير) تحية فيها إشراق الصبح وفيها أمنيته الخير، وهي تحية لقاء اعتدت أن أوجهها كل صباح إلى أولادي وإلى العاملين معي، فأحببت أن أوجهها إلى القراء أجمعين».

وكتب «إحسان عبد القدوس» -بصفته مدير عام الدار- في العدد نفسه قائلًا: «منذ خمس سنوات ونحن نستعد لإصدار مجلة أسبوعية باسم (صباح الخير) وكان أول ما فكرنا فيه هو تحديد الهدف الذي تصدر من أجله (صباح الخير) وكان الهدف الذي حددناه لـ(صباح) هو خلق الشخصية المصرية، وخلق البيت المصري وهو ما يحتاج إلى مجهود كبير لا تتسع له صفحات (روزاليوسف) وحدها».

(٣)

وبعد ثلاثة أسابيع فقط من ظهور «صباح الخير» تأسست وكالة أنباء الشرق الأوسط برأس مال عشرين ألف جنيه، وذلك لإمداد الصحف بأخبار مصر والعالم العربي، وكان «جلال الدين الحمامصي» هو أول رئيس لمجلس إدارتها.

وفي يوم السادس من أكتوبر صدر العدد الأول من جريدة «المساء» برئاسة تحرير خالد محيي الدين.

وقد حدد «عبد الناصر» أن تكون الجريدة يسارية -لا شيوعية- تهتم بمشكلات المواطن البسيط الاقتصادية والاجتماعية.

في هذا التوقيت بدأ «عبد الحليم حافظ» رحلته مع الأغاني الوطنية بالتعاون مع «كمال الطويل»، و«صلاح جاهين»، بأغنية «إحنا الشعب».

لكن حين علم بتفاقم مرض البلهارسيا، تغيَّرت نبرته، وعلا الشجن صوته، وربما كان ذلك سببًا في شروعه في كتابة مذكراته في العام التالي!

١٩٥٧

.. وجاء هيكل

(١)

في يناير على صفحات مجلة «الكواكب» بدأ «عبد الحليم حافظ» في كتابة مذكراته بخط يده قائلًا: «عندما فكرت أن أكتب مذكراتي، أحسست أنني أريد أن أصرخ بكل ما حدث في عمري مرة واحدة؛ حب.. وفاء.. مرض.. خيانة.. صداقة.. ألم.. سعادة.. رحلات في كل بلاد الدنيا.. باختصار..

الحياة رحلة رائعة رغم كل ما فيها من آلام. الآن أحاول بهدوء أن أحكي للأوراق حكايتي».

روى «عبد الحليم» قصة حياته، مبكرًا، ومبكرًا جدًّا، فلم يكن حين كتبها، بالشهرة التي نالها بعد سنوات، ولم يكن العندليب الأسمر، ولم يكن المطرب رقم واحد في مصر والعالم العربي، ولم تكن جماهيريته طاغية، ولم تكن شعبيته تسد الآفاق، لكنه اتخذ قراره دون اعتبار لكل ذلك، ربما شعر أن الأجل قد اقترب، رغم أن عمره حينها لم يكن يزيد على ٢٨ عامًا.

obeikandl.com

حكى «عبد الحليم» كل شيء، منذ ماتت والدته وتركته طفلًا، مرورًا بكونه كان أصغر طالب في معهد الموسيقى، علاوة على أسراره مع رفيقي الدرب «كمال الطويل» و«محمد الموجي».

وسرد قصة لقائه الأول مع الموسيقار «محمد عبد الوهاب»؛ بل إنه كتب بنفسه وقائع ما جرى له على مسرح الإسكندرية حين طالبه الجمهور بترك المسرح، وقال له متعهد الحفلات: «إيه يا أستاذ اللي بتغنيه.. ده عامل زيّ أيها الراقدون تحت التراب.. غنِّي حاجة جديدة لعبد الوهاب أحسن لك».

وروى قصص حبه، وعذاباته، وارتباطه الفني بالفنانة «شادية»، وما صحبه من شائعات. وتحدث عن آلامه الصحية، ومعاناته اليومية مع الأدوية والأطباء.

(٢)

في تلك الأثناء هبط توزيع جريدة «الأهرام» إلى ستين ألف نسخة، فقررت عائلة «تقلا» أن تبحث عن مُنقذ.

وفي السابع عشر من يوليو اتخذ مجلس إدارة جريدة «الأهرام» قرارًا بتعيين محمد حسنين هيكل رئيسًا لتحرير الجريدة.

وفي الثامن من أغسطس بدأ «هيكل» في ممارسة مهامه بشكل فعلي بعد أن صدر التصريح بالموافقة من مدير المطبوعات على توليه رئاسة التحرير، وذلك بعد عشر سنوات فقط من حصوله على عضوية نقابة الصحفيين. حينها لم يكن «هيكل» قد أتم عامه الرابع بعد الثلاثين، لكنه صنع «الأهرام»، و«الأهرام» أيضًا صنعته، فكلاهما كان بحاجة إلى الآخر،

هو كان يريد أن يكون رئيسًا لتحرير صحيفة كبرى، والجريدة كانت تريد رئيس تحرير مختلفًا، يعرف طبيعة العصر، ولديه مصادر نافذة، وقدرة فائقة.. وقد التقيا.

فأحدث هيكل نقلة كبرى في توزيع الجريدة، وصلت إلى خمسة أضعاف ما كانت عليه.

لكن الأهم أنها بعد أن كانت صحيفة كبيرة شاخت مع الزمن، ومر على نشأتها ٧٧ عامًا، استعادت شبابها وصارت مؤسسة كبرى تناطح كبرى الصحف في العالم.

(٣)

وبدأ «هيكل» نشر أول مقال له كرئيس لتحرير «الأهرام» في الأول من أغسطس، بعنوان «السر الحقيقي في مشكلة عمان».

ونُشر المقال في الصفحة الأولى لـ«الأهرام» دون تتمة في داخل الصفحات كما اعتاد «هيكل» بعد ذلك.

وكشف «هيكل» في هذا المقال تفاصيل اجتماع الرئيس الأمريكي «أيزنهاور» مع رئيس وزراء بريطانيا السابق «أنتوني إيدن» سنة ١٩٥٦ في واشنطن، وكيف أن «إيدن» عندما دخل مكتب «أيزنهاور» وجد خريطة كبيرة لجنوب شبه الجزيرة العربية، وكيف أن «أيزنهاور» كان يحفظ عن ظهر قلب اسم إمام عمان وسلطان مسقط وأسماء زعماء القبائل في المنطقة وعلاقات النسب التي تربط بينهم.

ثم شرح «هيكل» كيف أن بريطانيا تقف وراء سلطان مسقط دفاعًا عن البترول الخبيء تحت رمال عمان والمتفجر حولها في جنوب شبه

الجزيرة العربية الذي لم يبقَ للإمبراطورية البريطانية من مصدر للقوة في العالم غيره، ودلل على ذلك بأن دخل بريطانيا السنوي من بترول المنطقة يقدَّر بمليار جنيه، وهو ما يمثل العمود الفقري لقوة الاسترليني.

ووجه «هيكل» في نهاية مقاله رسالة إلى اللجنة السياسية للجامعة العربية التي كان مقررًا اجتماعها في يوم نشر المقال قائلًا: إن معركة عمان ضد بريطانيا اليوم مقدمة لمعركة أخرى؛ لهذا أيضًا نُحرِّض إمام عمان على أن يستعين قدر استطاعته بأمريكا ضد بريطانيا استعانة بـ«شيطان» ضد «شيطان آخر».

وأنهى «هيكل» مقاله قائلًا: «ليس فينا من يريد أن يقاتل كي تنتقل الغنيمة من يد بريطانية إلى يد أمريكية».

obeikandl.com

١٩٥٨

نتيجة الاستفتاء ٩٩,٩٩٪

(١)

وتوالت مقالات «محمد حسنين هيكل» تحت عنوان «بصراحة».

واختلف شكل «الأهرام»، فظهرت الصور الكبيرة في الصفحة الأولى، على غير ما استقرت عليه الجريدة طوال تاريخها، واتخذت منحى مغايرًا في العناوين الرئيسية.

وظهر ذلك بوضوح حين تم إجراء الاستفتاء على الوحدة بين مصر وسوريا، وفي نفس الورقة أُجري استفتاء على شخص رئيس الجمهورية في كلتا الدولتين، وجاءت نتيجة الاستفتاء ٩٩,٩٩٪، وخرج الشعب السوري إلى شوارع دمشق لاستقبال الزعيم «عبد الناصر» في أول زيارة له عقب الوحدة.

وخرجت جريدة «الأهرام» في صباح يوم الأحد ٢٢ فبراير تقول:

- **«بعون الله».. قامت الجمهورية العربية المتحدة**
- **جمال عبد الناصر يتكلم لأول مرة بعد انتخابه رئيسًا للجمهورية العربية المتحدة**
- **٩٩,٩٩٪ نتيجة الاستفتاء في إقليم مصر**

- **٩٩,٩٨ نتيجة الاستفتاء في إقليم سوريا**
- **دول العالم تتسابق على الاعتراف بالجمهورية الجديدة**
- **المشير عبد الحكيم عامر يعيَّن قائدًا عامًّا للقوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة**

(٢)

وفي تلك الأثناء حاورت مجلة «روزاليوسف» رجل الصناعة الأول «عبود باشا».

و«عبود باشا» بدأ حياته شابًّا من الطبقة الوسطى، ولم يكن يملك شيئًا سوى أن والده كان يمتلك حمَّامًا شعبيًّا في حي باب الشعرية.

واستفاد «عبود» من الحرب العالمية الثانية، وحقق ثروة طائلة، وصار «عبود باشا» أحد أعلام الصناعة المصرية.

وفي ظل ارتفاع أجور النقل ارتفاعًا خياليًّا، استطاع أن يشتري معظم أسهم شركة السكر والتكرير المصرية التي كان يمتلكها رجل بلجيكي يُدعى «هنري نوس».

وعندما مات انتقلت إدارة الشركة إلى ابنه «هوج»؛ لكن «عبود» استغل الفرصة، وطلب من أحد أصدقائه الإنجليز أن يساعده في التخلص من هذا الابن، فتم تجنيده في الجيش، وذهب إلى الحرب، ولم يعد، وانفرد «عبود» بإدارة شركة السكر.

وقد بلغ نفوذ «عبود باشا» لدرجة أنه أجبر «طلعت حرب» على الاستقالة من بنك مصر، وذلك حين اتفق مع صديقه «فرغلي باشا» ملك القطن، على سحب ودائعه من البنك بمعدل نصف مليون جنيه

يوميًّا؛ فاضطر «طلعت حرب» إلى الاستقالة حتى لا يهتزّ مركز البنك.

وجاء خلفًا له أحد أصدقاء «عبود باشا» ويدعى «حافظ عفيفي» وكان يعمل طبيب أطفال، ونشرت «روزاليوسف» قصة صعود «عبود باشا»، وحاورته في ٢١ يوليو باعتباره رجل الصناعة الأول في مصر.

وكان ذلك الحوار جزءًا من حملة صحفية كبيرة قامت بها «روزاليوسف» لدعم القطاع العام، والمنتج المحلي، والشركات الوطنية.

وقاد تلك الحملة «إحسان عبد القدوس» ومعه «كامل زهيري» بالإضافة إلى «فتحي غانم» الذي كتب يقول: «مضت علينا أعوام طويلة ونحن نعاني من سيطرة رؤوس الأموال الأجنبية على اقتصادنا؛ ولكن انقضى هذا العهد، وبدأنا بعد الثورة عهدًا جديدًا هو عهد رأس المال الوطني، وتمصير البنوك».

وخرج غلاف المجلة برسمة للفنان «زهدي» للرئيس «جمال عبد الناصر»، وهو يرتدي بدلة بيضاء مكتوبًا عليها «الحياد الإيجابي»، وأسفلها تعليق يقول: «عاجبك القماش.. ده إنتاج جمهورية مصر العربية».

وفي هذا العام رحلت السيدة «فاطمة اليوسف».

(٣)

وفي صباح يوم الأحد الرابع والعشرين من أغسطس أرسل «جمال عبد الناصر» خطابًا إلى جميع نواب رئيس الوزراء، وجاء فيه: «لاحظت في الأيام الأخيرة الجري وراء الصحف والصحفيين، وتوزيع نشرات عليهم، تهدف إلى دعايات شخصية».

فشعر «عبد اللطيف البغدادي» أنه المقصود من خطاب «عبد الناصر»، فتقدم باستقالته؛ لكنه تراجع عن قراره بعد ذلك.

حينذاك صدر قرار من الحاكم العسكري بتعطيل مجلة «السيدات المسلمات».

وأدخل الرئيس «عبد الناصر» تعديلات على المادة ٧٤ من قانون نقابة الصحفيين التي نصّت على الآتي: «أن الصحفي المقيَّد في جدول النقابة يتمتع بجميع الحقوق والامتيازات التي نصَّت عليها القوانين السابقة، كما يجب أن يتضمن عقد عمل الصحفي جميع المزايا التكميلية التي يتفق عليها مع إدارة الصحيفة».

obeikandl.com

١٩٥٩

تاتا زكي

(١)

وفي يوم الخميس ١٢ مارس قرر «جمال عبد الناصر» إقالة خالد محيي الدين من رئاسة تحرير جريدة «المساء».

وفي اليوم التالي تقرر فصل ١٣ صحفيًّا يعملون بالجريدة، علاوة على عدد من الصحفيين بالصحف الأخرى، بالإضافة إلى نائب رئيس تحرير «الجمهورية».

وبعد أسبوعين فقط صدر قرار باعتقال عدد كبير من الكُتاب، والصحفيين، وأساتذة الجامعات، وكان من بينهم «محمود السعدني، ولويس عوض، وصلاح حافظ، ومحمود أمين العالم، وعبد العظيم أنيس، ولطفي الخولي، وإسماعيل صبري عبد الله، وشهدي عطية الشافعي، وعبد الستار الطويلة، ورفعت السعيد» وغيرهم كثير.

وتم إيداع بعضهم معتقل الواحات الخارجة، والبعض الآخر «أبوزعبل».

وحين علم «صلاح جاهين» الخبر، غضب، وغادر بيته، واتجه إلى مجلة

obeikandl.com

«صباح الخير» وفي أثناء سيره في شارع القصر العيني، إذا بأبيات تتردد في ذهنه، وهو يمشي:

مع إنّ كل الخلق من أصل طين
وكلهم بينزلوا مغمَّضين
بعد الدقايق والشهور والسنين
تلاقي ناس أشرار وناس طيبين
ثم علّق على تلك المعاني بصوت عالٍ:
عجبي!

ثم صعد إلى المجلة، والتقى صديقه «أحمد بهاء الدين» رئيس تحرير «صباح الخير».

وقال «صلاح» لـ«بهاء»: «اسمع دي»، وتلا الأبيات، فإذا بـ«أحمد بهاء الدين» يقول: «أنا عايز أربع سطور زيّ دول كل أسبوع في المجلة».

هكذا وُلدت الرباعيات، وظلت تُنشر أسبوعيًّا على صفحات «صباح الخير».

لكن فجأة توقفت، وذلك حين كتب «جاهين» يقول:

يا طير يا عالي في السما طظ فيك
ماتفتكرش ربنا مصطفيك
برضك بتاكل دود وللطين تعود
تمصّ فيه يا حلو ويمصّ فيك
عجبي!

فقد أوعزت حاشية الرئيس إليه أنه «الطائر» المقصود، خصوصًا أنه كان في الطائرة حين كتب «جاهين» تلك الرباعية.

لكن لم يدم التوقف سوى أسبوعين، وحين عادت الرباعيات كتب «جاهين»:

أنا قلبي كان شخشيخة أصبح جرس
جلجلتْ به صحيوا الخدم والحرس
أنا المهرج.. قمتوا ليه، خفتوا ليه؟
لا فْ إيدي سيف ولا تحت منّي فرس
عجبي!

(٢)

في هذا التوقيت نشرت جريدة «أخبار اليوم» في صدر صفحتها الأولى مانشيتًا باللون الأحمر يقول:

- **اختفاء أجمل سيدة في مصر**

وجاء في التفاصيل:

«أن سيدة أرستقراطية تُدعى (تاتا زكي) متزوجة من محامٍ كبير وشهير، لكنها لم تعد ترغب في أن تكمل حياتها معه، وصارت تضيِّق به، وتركت له البيت، وأحبت رجلًا آخر من العائلة المالكة السابقة، وتريد أن تتزوجه، وتعيش معه، لكن زوجها المحامي يرفض أن يُطلقها».

وحاولت «تاتا زكي» بكل الطرق أن تنفصل عنه؛ لكن الزوج المخدوع تجاهلها، فذهبت إلى دار «أخبار اليوم» والتقت «مصطفى أمين» فجعلها حديث الناس بطول مصر وعرضها، وانصرف الناس عن كل ما يجري من إنجازات في البلد، وتابعوا، وتتبعوا قصة «تاتا زكي».

فغضب الرئيس «جمال عبد الناصر»، وشن حملة ضد صحف الإثارة التي تُلهي الجماهير عن القضايا الكبرى، وكان المقصود بذلك صحف دار «أخبار اليوم» التي شغلت الرأي العام بقضية «تاتا» التي تهافت الناس على معرفة تفاصيلها يومًا بيوم، وسبب اختفائها، وما ستفعله إنْ لم يستجب لها زوجها ويُطلقها.

(٣)

ففي خطاب «جمال عبد الناصر» بمناسبة ثورة يوليو، هاجم صحافة الإثارة، واتهمها بعدم إلقاء الضوء على قضايا المواطنين الكادحين، في الوقت الذي تخصص فيه مساحات كبيرة لأخبار العاطلين بالوراثة، وأبناء الطبقة الأرستقراطية التي نشأت في أثناء الحكم التركي، والاحتلال البريطاني.

ووصف «عبد الناصر» الصحافة بأنها تقدم صورة بعيدة كل البعد عن مجتمعنا الاشتراكي الجديد، وهو ما دعا بعض الأصوات في الاتحاد القومي للمطالبة بأن يكون للاتحاد دوره الإيجابي في توجيه الصحافة.

وبعد أن انتهى الرئيس من خطابه، بدأ التمهيد من كبار الصحفيين لصدور قرار تأميم الصحف، فكتب «هيكل» مقالًا بعنوان «حرية الرأي» وانتقد فيه الصحافة المصرية، وشنَّ هجومًا حادًّا عليها.

وقال: «إن الصحافة المصرية لم تستطع التخلص من كونها صحافة شخصية تعبِّر عن الرأي الخاص لأصحابها ومحرريها، وانحازت لحساب المرفَّهين، وفشلت في التعبير عن الرأي العام لمجتمع بأكمله على اختلاف طبقاته».

وكتب «فتحي غانم» في ٢٨ ديسمبر في «روزاليوسف» مقالًا أكد فيه حق الدولة في أن تتدخل لتوجيه حرية الرأي.

ودعا «إحسان عبد القدوس» رئيس تحرير «روزاليوسف» إلى ضرورة أن تنظَّم الصحافة في إطار الاتحاد القومي؛ لأنها تعد أداة من أدواته.

وكان قصة «تاتا زكي» هي الذريعة التي استندت إليها السُّلْطة لتأميم الصحف في العام التالي!

obeikandl.com